المحاضرة 07:

مقاومة الشيخ عمر المختار (1923-1931):

1- عمر المختار قائد للحركة السنوسية:

أدت هزيمة أحمد الشريف إلى إزاحته من قيادة الحركة السنوسية وتكلمنا سابقا عن ذلك وكيف هاجر إلى تركيا ومنها إلى الحجاز، فلقد اتهمه عمه إدريس السنوسي بتوريط الحركة وإقليم برقة في حرب خاسرة، وفي المقابل بدأ تحالف سياسي بين قيادة ادريس السنوسي والسلطات الإنجليزية استمر طويلا.

ولعل عمر المختار قد ظهر مبكر على ساحة الأحداث لكنه لم يكن معروفا بحكم بروز عدة قادة سنوسيين قبله، لكنه شارك في المقاومة منذ الغزو الإيطالي لليبيا عام 1911 **بواحة جالو**، وقد أشرف على **معسكر البراغيث** بموقع الخروبة التي كان تحت قيادته بمساعدة عمران السكوري، وشارك في عدة معارك واشتباكات خاصة لما لازم أحمد الشريف ابتداءا من 1913، ولقد استمر قتاله إلى غاية 1917 عندما عقد ادرس السنوسي مع الطليان معاهدة الصلح "**عكرمة**".

بعدما هاجر ادريس السنوسي إلى مصر، ترك أخاه علي الرضا نائبا له في بنغازي، لكن القيادة الفعلية للقبائل والمقاومة كانت تحت يد الشيخ عمر المختار في برقة، ولقد طلب عمر المختار من ادريس السنوسي سنة 1923 في مصر المساعدة لكنه رفض ذلك، وقال بأنه لا يستطيع فعل أي شيء في الوقت الحالي، وفي 24 أفريل 1923 أعلنت الحكومة الإيطالية الفاشية الجديدة بإلغاء كل المعاهدات السابقة مع السنوسية، وباشرت القوات باحتلال مناطق عديدة من ليبيا كأجدابية، وقد وقعت هناك معركتان بئر بلال والبريقية، وبالرغم من التباين العددي بين الطرفين إلا أن المجاهدين ألحقوا بالإيطاليين خسائر فادحة.

2 – أهم المعارك التي خاضها الشيخ عمر المختار:

استطاع عمر المختار أن يقود معارك عديدة عن طريق اتباعه حرب العصابات التي أرهقت الخصم وذلك بين سنوات (1924-1931)، فجمع حوالي 3000 رجل، و 20000 بندقية، وقد عين شيوخ وأعيان القبائل على قواته فعلى سبيل المثال كان: الفضيل بوعمر قائدا لدور الحاسة والعبيدات، حسين

الجوفي قائدا للبراعصة، ويوسف بورحيلي قائدا للعبيد والعرفة، وقجة عبد الله وعبد الحميد قائد دور العوافير، وصالح لاطيوش قائد لدور المغاربة.

وقد اعتمدت حركة مقاومة عمر المختار على الامدادات من الضرائب، والأعشار، وأموال الأوقاف والحبوب والحيوانات، ضرائب قوافل التجار التي كانت تمر عبر الصحراء قادمة مصر أو السودان وصحاري إفريقيا أو العكس.

وكانت طريقة الكر والفر وتجنب المواجهات المباشرة أحسن الطرق بالنسبة للمقاومة، فبلغ عدد الغارات عام 1931 على القوات الإيطالية 250 هجوما، ومن أهم المعارك التي خاضها عمر المختار أيضا: معركة الرحيبة بتاريخ 25 مارس 1927، فكانت قوات عمر المختار في 350 رجلا والقوات الايطالية في 744 جنديا و 12 ضابطا عسكريا، ومع ذلك كانت الغلبة لعمر المختار حيث فقد الايطاليون أكثر من 340 جندي و 6 ضباط.

أدت الخسائر المتوالية للإيطاليين وطول عمر المقاومة التي قادها عمر المختار إلى تغيير السياسة الحربية، خاصة وأن إيطاليا كانت ترهقها نفقات الحرب وتضغط عليها الصحافة الدولية والرأي العام، لذلك حاولت احتلال برقة 1926 بعدما صفت مشكلة الحدود مع مصر حول برقة في 6 فيفري 1926، وقد أدى احتلالها إلى قطع علاقات المجاهدين في الجبل الأخضر مع برقة ومع مصر من الناحية الشرقية وباقي المراكز السنوسية في فزان والكفرة، كما حاولوا احتلال فزان عام 1928 لكن لم يستطيعوا بعد معركة دامت يومين كانت فيها الغلبة للمجاهدين.

3- مفاوضات الايطاليين مع الشيخ عمر المختار:

بعد ميل الكفة لصالح حركة الجهاد التي يترأسها عمر المختار، عين **"بادوليو"** حاكما عسكريا على ليبيا جانفي 1929، وحاول أن يخادع الرأي العام الليبي بأن تظاهر بحبه للسلم، وطلب التفاوض مع عمر المختار، وقد اتصل به عدة مرات في مارس-أفريل 1929 لكن تلك الاتصالات باءت بالفشل، ثم تولى المفاوضات الجنرال **"سيشلياني"** الذي كان نائب للوالي، وكان الاجتماع في سيدي آل حومة بتاريخ 19 جويلية 1929 بين عمر المختار والمارشال بادوليو واتفقوا على إقرار السلام، وتم قبول شروط المجاهدين

الذين طالبوا بأن يكون للأمة رئيس منها تختاره بنفسها ويكون له مجلس من كبار الأمة وله الحق على الاشراف على مصالحها، والمحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للبلاد، وعودة السيد ادريس السنوسي، وحق الإدارة الوطنية في عملية جباية الزكاة، واستخدام اللغة العربية كلغة رسمية في ليبيا معترفا بها في الدواوين الايطالية، والعمل على انشاء المدارس الدينية الإسلامية لتعليم اللغة العربية وكذا تعليم اللغة الايطالية، وكذا إلغاء قانون عدم المساواة بين الوطني والإيطالي إلا إذا تجنس الأول بالجنسية الإيطالية، وحرية العبادة، والعفو العام عن المجاهدين المسجونين، وحرية حمل السلاح، وضمان مندوبين في تونس ومصر للاتفاق...الخ وقد انتهى هذا الاجتماع بموافقة الطرفان.

لكن الايطاليين خرقوا الاتفاق عندما استمالوا حسن بك الرضا السنوسي ووقع على معاهدة أخرى منافية للشروط السابقة خذلت المجاهدين، فرفض عمر المختار ذلك، وراسل الوالي الإيطالي حول ضرورة تقيد الطرف الايطالي بالشروط المبرمة وانتظر طيلة ستة أشهر لكن الايطاليين لم يوفوا بالعهد الممضى، مما اضطر المجاهدين إلى مهاجمة القوات الإيطالية، وأسقطوا احدى الطائرات وأسروا طيارها، وبدأت الحرب من جديد، وقد تم تعيين الجنرال الإيطالي "**رودولفوا غراتزياني**" الذي سيبدأ عمليات وحشية وسياسيات جهنمية ضد الأبرياء العزل للقضاء على المقاومة.

حاول غراتزياني تطبيق سياسة الأرض المحروقة، فأحرق كل المحاصيل التي كان يتزود منها المجاهدون والسكان المحليون، كما تم الاستيلاء على قطعان المواشي والإبل، وأقام خطاً شائكا على طول الحدود البرقية المصرية طوله 300 كلم لقطع حركة التموين والتجارة، كما أغلق الحدود مع تشاد والسودان بهدف تضييق الخناق على حركة الجهاد التي يقودها عمر المختار.

كما جهز جيشا لم تشهده ليبيا من قبل، ودعم بعشرين طائرة مقاتلة تحمل ألفي قنبلة، و 5000 جندي احتلت على إثره الكفرة بعد مقاومة قوية من قبيلة الزويّة في معركة "**الهوارية**" المشهورة بتاريخ 20 فيفري 1931.

لم يستطع "غراتزياني" بالرغم من محاولته الحصار من كل الجوانب القضاء على المقاومة، وإقناع الأهالي بعدم مساعدة المجاهدين، ولذلك قرر أن يرحل قبائل **"برقة"** وأن يحبسهم في معسكرات جماعية وكانت ربما أبشع سياسة استعملها الطليان منذ دخولهم إلى ليبيا عام 1911.

وكانت تلك المعتقلات بين سلومة قرب بنغازي وحتى القبيلة في صحراء سرت شرقا، حيث قدر عدد الشيوخ والأطفال والنساء من المعتقلين حوالي 100 ألف، مورس عليهم الخناق ومات أغلبهم بسبب الأمراض والمجاعات والأوبئة والعطش تحت أشعة شمس الصحراء الحارة، وقد خرج منهم 35 ألف أحياء، وقد يسمى هذا بالهولوكوست (=المحرقة) الإيطالية في ليبيا، كما أنشأت المحاكم الطائرة التي كانت تعدم المجاهدين بعد محاكمات صورية وتعدم على الفور الأسرى المقبوض عليهم، وهكذا تم عزل المجاهدين عن المعلومة والمؤونة بإنشاء مناطق محرمة بعد المحتشدات.

هكذا تم القضاء على حركة عمر المختار الجهادية التي تعد من أعظم المقاومات في تاريخ شمال افريقيا شأنها شأن مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري أو مقاومة محمد بن عبد الكريم الخطابي الريفي المغربي، ففي إحدى الاشتباكات في معركة السانية 1930 سقطت نظارتا الشيخ عمر المختار ووجدها أحد الجنود الايطاليين وقال يومها غراتزياني:" الآن أصبح لدينا النظارة، وسيتبعها الرأس يوما"، وكان عمر المختار مع كوكبة من فرسانه في أحد الوديان، وعلم بذلك الايطاليون فحاصروه، وحدثت مواجهات بين الطرفين جرح على إثرها عمر المختار وتمكنت القوات الإيطالية من أسره.

تم نقله إلى بنغازي وحضر المارشال بادوليو من إيطاليا لحضور محاكمته، وقد اتهم بالثورة ضد إيطاليا ومحاربة الدولة الإيطالية في ليبيا، وقد اعترف بشجاعة بكل ما نسب اليه، ونفذ فيه الحكم يوم 16 سبتمبر 1931 في مركز سلوق بحضور الأهالي وجميع المعتقلين السياسيين حتى يكون عبرة لهم، وهكذا انتهت مقاومة الشيخ عمر المختار الذي كان عمره 63 سنة آنذاك.

وقد حاول بعض المقاومين من اتباعه مواصلة الجهاد لكنهم فشلوا وقضت عليهم القوات الايطالية، وهاجر أغلبهم وفروا إلى الصحاري والبلدان المجاورة، وفي 24 جانفي 1932 أعلن الحاكم العسكري الايطالي المارشال بادوليو الاحتلال الكامل لليبيا بعد عشرين سنة من المقاومة.